المصدر: الاهرام العربى
التاريخ : ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٢

مهاتير محمد فى كتابه «الإسلام والأمة الإسلامية»

العولمة اختراع غربى لسلب ثروات الدول النامية

قبل أن تدهس خيول العولمة فقراء العالم!

«هذه الديانة الليبرالية الجديدة أصبح لها كثير من المعابد الشهيرة مثل صندوق النقد الدولى، والبنك الدولى ومنظمة التجارة العالمية. وهى الأقوى بين الجميع. وهى معابد تعمل بصورة مباشرة مع القادرين على الدخول إلى دهاليز السلطة فى كبرى العواصم العالمية، ومع العارفين بدقائق العمليات التجارية، والإشراف عليها من فوق ناطحات السحاب فى وول ستريت».

عن الإسلام والأمة الإسلامية والواقع الجديد .. المؤلم!

إعداد . طلعت الشايب

هذا كاتب ومفكر ربما لا يعرف عنه كثيرون فى عالمنا العربى من متابعى وسائل الإعلام سوى أنه رئيس وزراء ماليزيا، وهذا كتاب بالغ الأهمية يجىء فى الوقت المناسب حيث تتشابك الأصوات وتتقاطع فى أجواء حوار أو صدام الحضارات، هذا الكتاب يتناول الإسلام والأمة الإسلامية، ليس من ناحية العقيدة، وإنما من خلال عدد من القضايا المهمة التى فرضها الواقع الجديد، وظروف العالم المتغيرة فى الربع الأخير من القرن العشرين ومطلع الألفية الثالثة.

«مهاتير محمد» المولود عام 1925، والذى درس الطب فى سنغافورة ومارس المهنة حتى عام 1974، عندما قرر أن يتفرغ للعمل السياسى، «مهاتير محمد» يشغل منصب رئيس وزراء ماليزيا منذ عام 1981 (هو رئيس الوزراء الرابع للبلاد) هو مفكر بارز صاحب رأى مستقل فى مجمل قضايا العصر: مثل الحوار بين الأديان، والتنمية الاقتصادية، والعولمة والتعاون الإقليمى والدول وما يتفرع عند ذلك من مسائل أخرى لا تقل أهمية مثل حقوق الإنسان والبيئة والتصنيع والتحديث وثورة المعلومات وغيرها.

وهو صوت ينطلق من أرضية ثقافية إسلامية ويدرك من البداية عجز المسلمين عن الارتقاء إلى مستوى التحديات المستجدة على المسرح العالمى، بما يهدد الأمة بالانزلاق إلى مزيد من التخلف والتمزق، كما يدعو إلى ضرورة الأخذ بأسباب الكتولوجيا، مطالباً في الوقت نفسه باستلهام العبر من الماضى الإسلامى الحافل بالإنجازات، ورئيس وزراء ماليزيا لم يأت إلى هذا المنصب من فراغ، فمنذ أيام الطلب وهو منخرط فى العمل السياسى، حيث شارك فى أوائل العشرينيات من عمره مع زملائه فى تنظيم احتجاجات ضد مشروع اتحاد الملايو، كما قام بتنظيم أول اتحاد لشباب الملايو فى ولاية «كيداه» ثم «اتحاد الملايو» وهو تنظيم سياسى تحول فيما بعد ليصبح الحزب الحاكم الآن فى ماليزيا «المنظمة الوطنية لاتحاد الملايو» المعروف اختصاراً بـ «أومنو» وأثناء فترة عمله بالطب توطدت مشاركته السياسية فعين في منصب كبير فى فرع الحزب فى الولاية، كما أصبح عضواً فى البرلمان لأول مرة فى عام 1964، وهو فى التاسعة والثلاثين من العمر، وفى عام 1974، أصبح وزيراً لأول مرة (كان وزيراً للتعليم) وبعد

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

■ مهاتير محمد

عامين أصبح نائباً لرئيس الوزراء، وكانت تلك بداية الطريق لأن يصبح رئيساً للوزراء عام 1981.

تزامنت فترة عمله نائباً لرئيس الوزراء، ثم رئيساً للوزراء مع حدوث طفرة اقتصادية واجتماعية هائلة فى ماليزيا ودول شرق آسيا الأخرى، وأصبحت المنطقة تهدد الهيمنة الغربية على العالم، كما أصبح ذلك النمو الاقتصادى يعرف بالمعجزة الآسيوية، كما أصبح الاقتصاديون والمحللون يتحدثون عن إمكانية أن يصبح القرن العشرون هو القرن الآسيوى.

يبدأ كتاب «مهاتير محمد» باعتراف أساسى وهو أن كرامة الأمة الإسلامية فى خطر، بسبب عجز الدول الإسلامية التى تشكل أكثر من ثلث أعضاء الأمم المتحدة ووقوفها موقف المتفرج مما يحدث للشعب الفلسطينى، والحقيقة أنه كان قد أطلق تلك الصيحة المدوية فى القمة الإسلامية التاسعة بالدوحة فى نوفمبر 2000 مفنداً الصعوبات التى اعترضت مسيرة منظمة المؤتمر الإسلامى طوال الفترة الماضية، والتى يعزوها إلى تباين المصالح والخلافات الأيديولوجية بين الدول الأعضاء إضافة إلى طموح البعض فى الهيمنة على الآخرين.

الغرب.. وعقيدته الجديدة

يرى «مهاتير محمد» أن العولمة بحسب الصياغات المتداولة حالياً هى اختراع من بنات أفكار دول شمال الأطلنطى، كما يقول بكل اطمئنان إنها مصممة لزيادة ثروات تلك البلاد وتعزيز هيمنتها التى فرضوها منذ زمن بعيد على الشعوب الأخرى فى العالم، بما يكفل لها عدم بروز أى منافس حقيقى سواء من البلدان الكبرى فى شرق آسيا أو حتى من الدول الإسلامية التى لم تفق من غفوتها.

وبعد استعراض لسجل الغرب الأسود فى الهيمنة على الشعوب الأخرى واستغلال ثرواتها منذ حروب التوسع، يقول إنه بعد الاطمئنان إلى أن الشيوعية لم تعد تشكل خطراً عليه، طرح الغرب «عقيدته» الجديدة المتمثلة فى حرية التجارة والتى تعنى زوال أو إزالة الحواجز التجارية كافة، بما يسمح للسلع والخدمات بالتدفق عبر الحدود دون عوائق، حرية التجارة التى يروج لها الغرب الاستعمارى استطاعت أن تخدع بعض الدول الفقيرة التى تناست أنها لا تملك شركات أو مؤسسات عملاقة ولا بنوكاً ضخمة ولا منتجات تؤهلها للمنافسة، ثم اكتسبت قضية تحرير التجارة التى لم تكشف أبعادها الخطيرة عند بدايات طرحها، اكتسبت نوعاً من الشرعية عبر اتفاقية «الجات» ومنظمة التجارة العالمية، كما وجدت فى الوقت نفسه دعماً وترويجاً كبيرين من البنك الدولى وصندوق النقد الدولى ووسائل الإعلام الخاضعة للسيطرة الغربية.

قضية تحرير التجارة تم تطويرها تحت مسمى جديد هو «العولمة» التى تعنى عالماً بلا حدود أو حواجز، هذه العولمة تشتمل من بين جوانب عديدة، على ممارسة الأنشطة التجارية والاقتصادية دون أن يكون للدولة ولاية أو سيادة على إقليمها الجغرافى القطرى الذى يصبح مجرد اسم يطلق على منطقة بعينها على خارطة المعمورة، أى أن الدولة

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

القطرية تصبح عاجزة عن تحصين نفسها ضد جحافل الغزاة القادمين من الدول الغنية لتدمير مؤسساتها النامية وبنوكها وصناعاتها الناشئة إلى أن يتم الإجهاز عليها تماماً، وهكذا تصبح بلادنا أسوأ من «جمهوريات الموز» حيث يكون أصحاب المؤسسات الأجنبية أقوى وأكثر نفوذاً من قادة تلك البلدان ورؤساء حكوماتها.

ومما لا شك فيه أن أصحاب تلك المؤسسات العملاقة هم الذين سوف يحددون من يحكمنا، فهل يمكن القول فى هذه الحالة إن بلادنا مستقلة ذات سيادة؟ العولمة إذن تصب في اتجاه يكرس إعادة بناء الإمبراطورية الغربية، وانطلاقاً من أننا بلدان نامية فإن الدول الإسلامية كلها سوف تصبح فى يوم من الأيام جزءاً من الإمبراطورية الغربية التى تعنى الإمبراطورية الأمريكية. إن المسلمين الذين تمكنوا ذات يوم من بسط نفوذهم على العالم قبل أن تضمحل حضارتهم، أضاعوا فرصة الإفادة من الثورة الصناعية التى كانت آنذاك تتسع وتنمو فى أوروبا، تخلفوا لأنهم لم يسهموا فيها، أى أن تراجعهم لم يقتصر علي الناحية الكمية، ولكنه شمل أيضاً تخلف قدراتهم الصناعية وملكاتهم الإبداعية والابتكارية وانتهى الأمر بهم إلى الاعتماد الكامل على ما ينتجه غيرهم بمن فيهم الأعداء، ويبدو أن المسلمين سيضيعون للمرة الثانية فرصة الإفادة من ثورة المعلومات أيضاً، وللأسباب نفسها، إذ أنهم مازالوا منشغلين بخصوماتهم وخلافاتهم.

الإسلام .. الدين الذى أسىء فهمه!

ربما يكون الإسلام هو أكثر الأديان التى أسى فهمها فى عالم اليوم، بل يمكن القول إنه أكثر الأديان تعرضاً لسوء الفهم عبر التاريخ أيضاً، سوء الفهم هذا لا يقتصر على غير المسلمين، وإنما يمتد إلى المسلمين أنفسهم والدليل على ذلك وجود هذا العدد الكبير من الطوائف والملل الإسلامية التى يتبع كل منها تعاليم إسلامية مختلفة ومتناقضة أحياناً، هذا الاختلاف وما يلازمه من تناقض يؤكد وجود خطأ ما، وأن هذا الخطأ يكمن تحديداً فى عدم فهم الإسلام أو إساءة فهمه.

الأحوال المتردية للمسلمين اليوم ترجع جزئياً إلى الجهل، كما ترجع إلى التحامل على الإسلام والمسلمين، ولكن ذلك لا يجعلنا نعفى المسلمين تماماً من مسئولية ما آلت إليه حالهم، كما يرى الكاتب أن محنتنا من صنع أيدينا لأننا فشلنا فى التطور مع الزمن وبالتالى فإن الخلاص أيضاً فى أيدينا وليس فى أيدى الغير، وفى الوقت الذى نحاول فيه تعديل أو إيقاف خطر العولمة، يجب أن نعد أنفسنا أن نتحمل كلفة الانتظار حتى نرى نتيجة ما قمنا به من إجراءات، يجب أن نعد أنفسنا حتى نكون قادرين على التعامل مع الأخطار القادمة مع العولمة، كما يجب أن نتعلم ونتقن كل أنواع التكنولوجيا وتطبيقاتها، كما أننا لا نستطيع أن نتحمل أى نوع من الشك أو الاشتباه فى جدوى التصنيع والتحديث، وبالقطع فإن هناك من سيقول إن هذه الحياة الدنيا ليست لنا نحن المسلمين، وإن لنا الآخرة التى هى خير وأبقى، وإذا حاقت بنا الكوارث فإن الله سوف ينجينا لأننا مسلمون، إن الذين يقولون ذلك ينسون أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وبينما نجد من المسلمين من

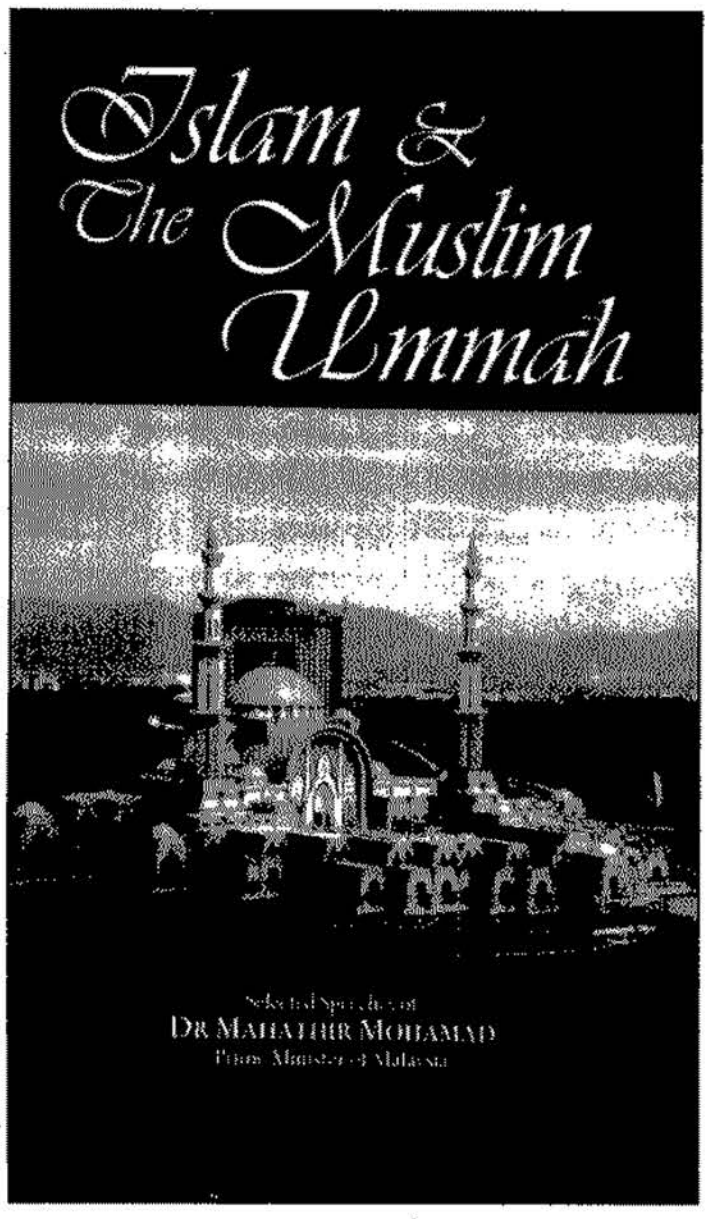

■ كتاب الإسلام والأمة الإسلامية

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

■ رغم سيطرة فلسفة العولمة على كثير من دول العالم مازال أبناء ماليزيا يحافظون على هويتهم الإسلامية

يقفون مواقف إيجابية للعمل على تطوير بلادهم وحماية أنفسهم من هيمنة وسيطرة الآخرين نجد أيضاً أن هناك جماعات من المسلمين المتعصبين الذين يحاولون إيقاف هذا الجهد الإيجابى حتى تظل الأمة الإسلامية متخلفة، والغريب أن يحدث ذلك باسم الإسلام، والجماعات التى تريدنا أن نظل فى مؤخرة الأمم هى الجماعات التى تخون قضية الإسلام بوعى أو بدون وعى، أما الشىء الأساسى الذى ينبغى على الدول الإسلامية أن تتقنه فهو معرفة كل ما يتعلق بتكنولوجيا المعلومات، هذه التكنولوجيا المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعولمة.

التاريخ خير معلم

يرى «مهاتير محمد» أن مسيرة الحضارة الإسلامية لم تتوقف إلا عندما تم إهمال المعارف والمهارات اللازمة لإنتاج الحضارات، وبالرغم من المحاولات التى بذلت لإحياء مجد الحضارة الإسلامية لم يتحقق شىء، كل المحاولات أخفقت نظراً لأن نفراً من العلماء بين المسلمين يخشون أن يؤدى هذا التقدم الحضارى إلى إهمال شأن الدين، الأمر الذى جعلهم يصرون على تقسيم المعارف إلى نوعين: دينية وعلمانية، مع النظر إلى الأخيرة على أنها تشكل تهديداً للإسلام، وفى الوقت الذى كان يحدث فيه ذلك فى العالم الإسلامى، كان قد تم فصل الدين عن الدولة فى أوروبا، الأمر الذى أفقد الكنيسة سيطرتها التى مارستها طوال قرون على الدولة، أما الذى دفع علماء المسلمين إلى محاربة المعارف العلمانية - فى رأيه - فيرجع إلى أنهم كانوا يخشون أن تؤدى مثل تلك المعارف إلى تقليص نفوذهم فى المجتمع وفى الدولة.

وبناء على ذلك فإن الخطوة الأولى التى يجب أن نخطوها، هى التخلى عن الفكرة القائلة بأن أى معرفة غير المعرفة الدينية والروحية هى معرفة علمانية وبالتالى يجب تحريمها، يجب أن يكون بناء الحضارة الإسلامية المعاصرة قائماً على إنجازات البشرية فى عصرنا، هذه الحضارة يجب أن تعكس الحياة المعاصرة والأفكار الصالحة لزماننا على أن تظل فى الوقت نفسه ملتزمة بتعاليم الدين الإسلامى، أما إذا كنا نؤمن حقاً بأن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، فسنكون مثل من يناقض الدين فى جوهره إذا ما اعتبرنا أن الحضارة الإسلامية لن تتحقق إلا فى الظروف ذاتها التى كانت سائدة فى المدينة فى القرن السابع الميلادى ■

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية